**هيبت بلعة تكمل أسلوب الكولاج بالزيت.. في غناء هندسي**



[**أحمد بزون**](http://assafir.com/ViewAuthor.aspx?AuthorID=5185&ArticleID=385617)

: **22-11-2014 02:06 AM**
من يتذكر معارض هيبت بلعة بواب السابقة ينتبه إلى أن الفنانة لم تنقلب على نفسها بالكامل، عندما انتقلت من لوحة الكولاج الصافي إلى لوحة الزيت الصافي، فهي لم تنقلب على أسلوب الكولاج إنما انقلبت على التقنية، أو بدلت المادة المستخدمة في اللوحة، حتى لأمكن القول مجازاً إن الفنانة ما زالت تؤلف لوحتها بأسلوب الكولاج الذي أخذ الكثير من عمرها الفني.. لكن الكولاج نُفِّذ «بالزيت» هذه المرة.
في المعرض، الذي تقيمه الفنانة في غاليري Art On 56th (الجميزة، لغاية 8 كانون الأول المقبل)، 16 لوحة زيتية متقاربة الأسلوب، فهي تعمّر أو تبني لوحتها مدماكاً بعد آخر حتى تكتمل، ولا تكتمل. بمعنى أن اللوحة عندها ليست مشهداً تلتقطه الفنانة من الواقع، بل تبنيه على أساس تخيّل الواقع أو إعادة بنائه، تؤلف لوحتها كمن يؤلف قصة، تتداخل فيها الوقائع والمخيلة. فالأعمال تعتمد بالدرجة الأولى على استلهام الأمكنة، التي تحضر كذكريات أو توارد أفكار، أو أن الفنانة تستحضر مفردات من الواقع وتبني حولها فضاءها الخاص، كما هي الحال في لوحة «طرابلس»، حيث تضع في وسط اللوحة مشهداً من أسواق المدينة، وحوله تقيم مربعات ومستطيلات لكل منها قصة، أو انطباع. كأن تقدم مربعاً لسماء غائمة، ومستطيلاً لزخرفة رخام، أو تستعير من الأبنية التراثية مقطعاً ومن زخرفات السجاد أو القماش نموذجاً.
إذاً، رغم التنوع في المشهد الواحد، كثيراً ما تجعلنا بلعة ننتبه إلى مركز اللوحة، أو المضمون الأساسي فيها، قبل أن تكمل غناءها وتغريدها الهندسي. وقد يكون تعبير الغناء الهندسي مستغرباً، كون الهندسة أكثر انتماء إلى الذهنية لا الرومنسية، غير أن الفنانة استطاعت أن تحول الأشكال الهندسية إلى نوع من الطرب البصري. يساعد في ذلك التكثيف اللوني، الذي يتخذ هو الآخر أسلوباً أكثر ما يظهر صافياً، متماهياً مع هندسية الخطوط، فغالباً ما تلتزم الفنانة لوناً واحداً في الشكل الهندسي الواحد، على أن تكون لعبتها التأليفية معتمدة على حركة البناء الهندسي، بل أحياناً التفكيك، ذلك أن حركة التأليف تعتمد على التناظر والتضاد. وفي كل الأحوال، وحتى وهي تستخدم ألواناً قوية، تحفظ توازنات أبنيتها وألوانها، تبدو لوحتها ثابتة ومرتكزة على أسس متينة يتناوب في تظهيرها البصري الضوء والظل أو الألوان المشعة والمعتمة.
لوحة بلعة «عاقلة»، رغم الحرية التي أظهرتها في مغامرة التنويع البنائي و«الكولاج» المضمر، وحضور التخييل الرومنسي، فهي تبتعد كل البعد عن الشغب والضربات الانفعالية والعفوية والتدفق الوجداني الحر، وتبقى على التزامها الدقة الهندسية والدوزنة اللونية، حتى وهي تتعامل مع الدردشة اليومية، وتفاصيل الأمكنة، وسرد مفرداتها. ثم إنها وهي تصوّر فوضى الأمكنة تعمل على تنظيم هذه الفوضى، وتطويعها لتدخل في النظام التأليفي العام.
تقدم لنا بلعة مشهداً عمرانياً أنيقاً، أكثر مما تهتم بتقديم وجوه الناس وقاماتهم، كأن هذا الحضور يكسر النظام الهندسي عندها. ومع أن المشهد مديني بامتياز تحضر العمارات والأمكنة الحميمة أكثر من الوجوه، وتحضر زحمة الأبنية أكثر من زحمة الناس، ولا يحدث عكس ذلك إلا نادراً. على أن أنسنة الأمكنة داخلية أكثر، فالكرسي الفارغ وأغراض البيت وسوى ذلك كلها تستحضر ناسها، أو ترمز لهم.
كانت الفنانة بلعة الوحيدة في لبنان التي تعتمد على فن القص ذي الجذور العربية القديمة، وكانت في معارضها تبني المشهد كله بالاعتماد على هذه التقنية، من دون أن تستخدم التلوين أو الخطوط، ولم تبدل هذا الأسلوب إلى منذ قرابة خمس سنوات، وقد برز هذا التحول نحو «الكولاج» الزيتي في المعرض الذي أقامته عام 2010 في غاليري «ألوان»، لكنها في معرضها الحالي تركز تقنيتها الجديدة أكثر، وتعمل على بناء لوحة تحدٍّ مفتوحة، قد تكون أكثر تحرراً من شروط لوحة الكولاج السابقة.
أحمد بزون